

قبول الفرق للمنطق

تقدم أن الفرق الإسلامية رفضت المنطق، لكن مواقف الفرق الكلامية من المنطق تغيرت إلى الضد تماماً، فأصبح كثير منهم يوجب تعلم المنطق بعد أن كان محرماً، عدا المعتزلة ومن وافقهم، قال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) : « وقد توسع من تأخر عن القرون الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه»، أما موقف أهل السنة من المنطق فلم يتغير.

ويؤرخ العلامة صديق حسن خان (ت ١٣٠٧هـ) هذا التحول بأنه بعد الجويني (ت ٤٧٨هـ) انتشرت علوم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية، بأنه قانون ومعياري للأدلة، وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي (ت ٥٠٥هـ) وابن الخطيب الرازي (ت ٦٠٦هـ) وجماعة قفوا أثرهم واعتمدوا تقليدهم، ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة، حتى التبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة، بحيث لا يتميز أحد الفنين من الآخر، كما فعله البيضاوي في "الطوالع" ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تأليفهم .

وهذه الفرق أخذت المنطق عن ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) في أواخر القرن الخامس الهجري وما بعده، ولولا استشهاد هؤلاء المتكلمين أحياناً بالنصوص الشرعية لما تميزت كتب الكلام عن كتب الفلسفة، وألفت معظم كتب هذه الفرق في العقائد على طريقة كتب الفلاسفة، على القسمة الثلاثية المعروفة: المنطق، الطبيعيات، الإلهيات، ثم تزيد الكتب الكلامية ما يخص مذاهبها، "كالمواقف في علم الكلام" و"شروحه" و"مقاصد علم الكلام" للتفتازاني الماتريدي، و"تجريد الاعتقاد" للطوسي، التي وصفت بأنها "كتب فلسفة ممزوجة بعلم الكلام، لا كتب كلام تتعرض لأقوال الفلاسفة"، ولا تزال معظم الأوساط الكلامية تخضع لتأثيره السلبي إلى اليوم، ومن لم يأخذ به تأثر به كالمعتزلة ومن وافقهم، واستخدموا بعض قواعده، وسبب أخذ الفرق الكلامية للمنطق إحساسهم بضعف مناهجهم الكلامية، وفقدتهم لأسباب الهدى كلها، ومن ترك ما أمر الله به من الحق احتاج إلى الباطل، كما يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية.

أولاً. الفلاسفة :

أخذ بالمنطق الأرسطي أتباع أرسطو الفلاسفة، كالكندي (ت ٢٦٠هـ)، والفارابي (ت ٣٣٩هـ)، وابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، وهؤلاء من الشراح الذين أخذت عنهم الفرق الكلامية التي تبنت المنطق والفلسفة، وقد تقدم الكلام عليهم، وأهم الشراح الذين ليس لهم دور كبير في الفرق الكلامية هم :

١. أبو البركات ابن ملكا البغدادي (ت ٥٦٠هـ) أفضل النقلة عن أرسطو، وأبعدهم عن التعصب، ويرد عليه أحياناً بحسب نظره وعقله، كما يرد على ابن سينا، وسبب ذلك أنه نشأ في بغداد بين علماء السنة والحديث، لكن لم تنتشر فلسفته، وكتابه "المعتبر في الحكمة" مشهور جداً، على قسمة كتب الفلسفة الثلاثية المعروفة: المنطق، الطبيعيات، الإلهيات.

٢. ابن رشد الأندلسي الحفيد (ت ٥٩٥ هـ) وهو متعصب جداً لأرسطو، ويرى أن الحق ما جاء به، ويرى أن المنطق سبب السعادة، ومع ذلك هو أصح نقلاً عن أرسطو وشيئته من ابن سينا، وقد رد على ابن سينا بعض ما حكاه وخالفه، كما رد على الكلائية والأشعرية، تابعه الأرييون وسموه الشارح، من كتبه المنطقية "المقدمات في الفلسفة" معظمها في المنطق، و"موجز في المنطق" مع مقالتين، و"الضروري في المنطق" و"مختصر في المنطق" ولخص وشرح من كتب أرسطو المنطقية "البرهان" و"القياس" و"شرح إيساغوجي" لفورفوربوس، وله آراء منطقية في "فصل المقال" و"الكشف عن مناهج الأدلة".

وكثير من الفلاسفة مغرم بالمنطق وأهله، حتى زعم بعض متعصبهم أن المنطق مصدر السعادة، وكثير من فلاسفة الأشاعرة والماتريدية شرحوا "الإشارات والتنبيهات" وثلثه في المنطق، فهو بحق "مصحف الفلاسفة" ولذا فابن سينا أكثرهم أثراً وأتباعاً.

ثانياً. الأشعرية المتفلسفة :

أول من أدخل المنطق عند الأشعرية الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، وألف فيه كتباً مستقلة، أو ضمن أصول الفقه، وتابعه أبو عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) وهو أول من أدخل مباحث المنطق والفلسفة في كتب العقائد الكلامية، وخلط المذهب الأشعري بالفلسفة والمنطق، قيل عنه: «متكلم متفلسف خلط هذا بهذا، وقد اقتدى به كثير ممن أتى بعده»، حذر منه بعض متأخري الأشعرية كالسنوسي (ت ٨٩٥ هـ)، ألف الرازي في المنطق كتابه "المنطق الكبير"، وله في الفلسفة عدة كتب، تضمنت المنطق منها: "الملخص في الحكمة والمنطق"، و"المباحث المشرقية"، و"شرح الإشارات والتنبيهات"، ومن كتبه الكلامية التي خلط فيها علم الكلام بالمنطق والفلسفة، "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين"، و"المطالب العالية في العلم الإلهي".

وقد تابعه الآمدي (ت ٦٣١ هـ) في "دقائق الحقائق في المنطق" و"كشف التمويهات" شرح الإشارات، و"رموز الكنوز"، ويتضح خلط الآمدي بين الفلسفة والمنطق وعلم الكلام في كتابه "المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين" وهو خاص بالمصطلحات، وفي "أبكار الأفكار في أصول الدين"، و"ملخص المطالب العالية".

والخونجي (ت ٦٤٦ هـ) وله "الجمل" مختصر صغير في المنطق، مشهور له انتشار واسع، وعليه شروح كثيرة، و"الموجز" مختصر آخر، و"كشف الأسرار في المنطق"، و"ملخص المطالب العالية".

وممن تابعه الأبهري (ت ٦٦٣ هـ) وله "هدية الحكمة" وثلثه في المنطق، و"إيساغوجي في المنطق" أي المدخل، وهو عامة في المنطق، مشهور جداً، وعليه شروح وعلى الشروح شروح، وخلط الفلسفة والمنطق بعلم الكلام في "تحرير الدلائل في تقرير المسائل"، و"كشف الحقائق في تحرير الدقائق".

ومنهم الأرموي (ت ٦٨٢ هـ) وله "مطالع الأنوار في المنطق"، و"شرح الإشارات"، و"شرح الموجز" للخونجي، و"وتحصيل المحصل" للرازي، والكاتب القزويني (ت ٦٧٥ هـ) وله "الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية" متن مختصر مشهور جداً في المنطق، عليه شروح كثيرة، وشروح على الشروح، و"حكمة العين" و"عين القواعد في المنطق والحكمة" وشرحه في "بحر الفوائد" و"جامع الدقائق في كشف الحقائق" و

المنصص شرح الملخص " للرازي، و"شرح كشف الأسرار" للخونجي، والشيرازي (ت ٧١٠هـ) له "شرح حكمة العين" للزويني، و"شرح وحاشية على إشارات" ابن سينا، والرازي المشهور بالتحفاني (ت ٧٦٦هـ) وله "تحرير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية"، و"لوامع الأسرار شرح مطالع الأنوار" و"تحقيق معنى التصور والتصديق"، و"المحاكمات بين الإمام والنصير".

ومنهم الإيجي (ت ٧٥٦هـ) صاحب كتاب "المواقف في علم الكلام" المشهور، له شروح كثيرة جداً، والذي وصف بأنه "كتاب فلسفة ممزوجة بعلم الكلام، أو موسوعة كلامية فلسفية"، وقد جاء على منوال "المباحث المشرقية" و"أبكار الأفكار في أصول الدين".

وينقسم إلى ستة مواقف: الموقف الأول: في المقدمات، وفيه غالب مسائل المنطق مثل التصور والتصديق، وأنواع التعريفات وشروطها والكمالات الخمس والقياس المنطقي والمقدمات وغيرها، وذكر المقولات العشر في الموقف الثاني، والثالث.

قال العلامة ابن بدران (ت ١٣٤٦هـ): «إذا رأيت كتب الذين يزعمون أنهم أشاعرة رأيتهم على مذهب أرسطاطاليس، ومن تبعه كابن سينا والفارابي، ورأيت كتبهم عنوانها علم التوحيد، وباطنها النوع المسمى بالإلهي من الفلسفة، وإذا كنت في ريب مما قلناه من الكلام، فانظر "المواقف" لعضد الدين الإيجي وشرحه للسيد الجرجاني، وما عليه من الحواشي، ثم تأمل كتاب "الإشارات" وكتاب "الشفاء" لابن سينا وشروح الأول، فإنك تجد الكل من واد واحد لا فرق بينهما إلا بالتصريح باسم المعتزلة والجبرية وغيرهما».

وبعد كتاب المواقف دخل المذهب الأشعري المتفلسف مرحلة الجمود واقتصر على الشروح والحواشي وشروح الشروح، سوى "السلم" للأخضري (ت ٩٨٣هـ)، أرجوزة مشهورة في المنطق عليها شروح كثيرة، وعموماً مؤلفات الأشعرية المتفلسفة في المنطق مفرداً أو مع الفلسفة أو مع علم الكلام كثيرة جداً، لكن مؤلفات الأشاعرة المعاصرة في العقيدة في كثير منها محاولة تجاوز هذا المنهج، والتلفيق بين معتقداتهم والنصوص الشرعية.

ثالثاً. الماتريدية المتفلسفة:

أخذ متفلسفة الماتريدية بالمنطق والمناهج الفلسفية، قال التفتازاني (ت ٧٩٢هـ): «لما نقلت الفلسفة إلى العربية وخاض فيها الإسلاميون حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيراً من الفلسفة ليتحققوا من مقاصدهم فيتمكنوا من إبطالها، وهلم جراً إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات، وخاضوا في الرياضيات، حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة، لولا اشتماله على السمعيات، وهذا هو كلام المتأخرين».

وقد تابع متفلسفة الماتريدية متفلسفة الأشاعرة، ويحصر دورهم في شرح مصنفاتهم، فمنهم ابن التركماني (ت ٧٤٤هـ) وله "شرح الشمسية".

ومن أبرزهم التفتازاني (ت ٧٩٢هـ) الملقب بفيلسوف الماتريدية، وله "تهذيب المنطق والكلام"، و"شرح الرسالة الشمسية" كلاهما في المنطق، وخلط علم الكلام بالمنطق والفلسفة في "مقاصد علم الكلام"، و"شرح المقاصد"، متابعاً شيخه الأيجي، ولمؤلفاته شهرة واسعة.

ومنهم الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، وله "تعريف العلم في المنطق" له انتشار كبير، ورسالتين "كبرى وصغرى" بالفارسية، ترجمها للعربية ابنه محمد (٨٣٨هـ) وسماهما "الغرة والدرة" و"الرسالة الوليدية في المنطق" و"شرح ايساغوجي" و"حواشي على شرح التحتاني للرسالة الشمسية"، و"شرح على مطالع الأنوار" للأرموي، و"شرح كتاب المواقف في علم الكلام" للأيجي، وعلى شرحه حواشي وتعليقات كثيرة، وهو المعتمد عند الماتريدية.

وقد تابعه كثير من متفلسفة الماتريدية، مثل علي العجمي (ت ٨٦٠هـ) له حواشي على حواشي الجرجاني على "الشمسية"، و"المطالع"، و"المواقف"، ومجد الدين الرازي الملقب (مصنفك) (ت ٨٧٥هـ) له حاشية على حاشية الجرجاني على "المطالع" وشرح على "الشمسية" بالفارسي، وإلياس السنيوي (ت ٨٩١هـ) له حاشية على حاشية الجرجاني على "الشمسية"، وحاشية على "شرح المقاصد" للتفتازاني، وإلياس الرومي (ت ٩٢٩هـ) له حواشي على حواشي الجرجاني على "الشمسية"، و"المطالع".

ومن تلاميذه الدواني الفيلسوف (ت ٩١٨هـ) وله "حاشية على تحرير القواعد المنطقية" للتحتاني، و"شرح العقائد العضدية"، و"شرح تهذيب المنطق"، و"شرح هياكل النور".

ومن منطقة الماتريدية قره خليل (ت ١٢٣٣هـ) وله "جلاء الأنظار" حاشية على الفوائد الفنارية على ايساغوجي، و"الرسالة العونية" في المنطق.

وأعلام الماتريدية الذين فتنوا بالمنطق أكثر من هؤلاء، وشروحهم وحواشيه على "الشمسية" كثيرة جداً، لكن الدراسات عن هذه الطائفة فيها قصور كبير، خاصة ما يتعلق بأعلامهم، وتطور المذهب الماتريدي .

ولاحلاف بين متفلسفة الأشاعرة والماتريدية في العقائد، واعتبرهم كثير من أهل العلم فرقة واحدة، وتبع لهما الشيعة الإمامية المتفلسفة، ويلحظ كثرة شروح بعضهم على مؤلفات بعض، لقلة مسائل الخلاف بينهم .

رابعاً. فلاسفة الصوفية :

من أئمة الصوفية كما هو من إمام عند الأشعرية المتفلسفة الغزالي (ت ٥٠٥هـ) وهو أول من أدخل المنطق والفلسفة عند الطائفتين، وتابعه السهروردي المقتول على الزندقة (سنة ٥٨٧هـ)، وقد ذكر المنطق في كتابه "حكمة الإشراق" و"اللمحات" و"التلويحات" وهي كتب فلسفية على الترتيب الثلاثي المعروف، ثلثها في المنطق، وكان تعرضه للمنطق عرضاً، لكن لم يقلد المشائين بل بين خطأهم في مواضع لا في المنطق ولا غيره.

وممن تابعه ابن سبعين (ت ٦٦٩هـ) في كتابه "بد العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف، وطريق السالك المتبيل العاكف" وهو كتاب فلسفي على الترتيب الثلاثي المعروف، وكان تعرضه للمنطق عرضاً.

أما غير هؤلاء من الصوفية فيصرح بعضهم أنه على مذهب الأشعرية، أما الصوفية في القرن الثامن الهجري وما بعده فقد تابعت ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، وكتبهم شرح لكتبه وتفريع لها، ودفاع عنه واتباعه، وابن عربي يزعم أنه يتلقى عن الله تعالى ولا يحتاج للنظر العقلي، والصوفية عموماً يعتمدون الكشف والذوق لا الفكر العقلي، لذا إدخال المنطق في التصوف لا يمثل الصوفية.

خامساً . متفلسفة الشيعة الإمامية :

تابعت الشيعة الإمامية المعتزلة في رفض المنطق، وهنا تابعت الفرق الكلامية الأخرى التي خلفت المعتزلة وأخذت بالمنطق، وأول من ألف منهم النصير الطوسي الملحد (ت ٦٧٢هـ) أخصب الفلاسفة وأشدهم عداً للإسلام، ومن المتعصبين لابن سينا، خلط الفلسفة والمنطق بعلم الكلام في كتابه "تجريد الاعتقاد" على طريقة أهل الكلام المتأخرين، ويقع في ستة مقاصد، مثل "المواقف" و"المقاصد"، الثلاثة الأولى في الفلسفة والمنطق، والثلاثة الأخيرة في النبوة والإمامة والمعاد، عليه شروح كثيرة للشيعة، وله "شرح الإشارات"، و"نقد المحصل" للرازي وغيرها، و"التجريد في المنطق" و"أساس الاقتباس" كلاهما في المنطق.

وممن تابعه ابن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ) وله "كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد" وهو من المراجع المهمة عند الشيعة، و"الجواهر النضيد في شرح التجريد في المنطق" كلاهما للطوسي، و"القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية"، و"المحاكمات بين شراح الإشارات" و"حل مشكلة التلويحات".

ومنهم اللاهجي القمي (ت ١٠٥١هـ) له "مشارك الإلهام في شرح تجريد الكلام" للطوسي، و"حاشية على شرح الإشارات" للطوسي، وشرح "الهياكل" للسهرودي.

ومنهم السبزواري (ت ١٢٩٥هـ) وله "الآلئ المنتظمة" أرجوزة في المنطق، شرحها، وفيها ركافة، متأثر بالسهروردي وابن عربي.

وهؤلاء تبع لغيرهم، والخلاف بينهم وبين الفرق الكلامية المتفلسفة . الأشعرية والماتريدية . في الإمامة، كما ضعفت ردود المتفلسفة من الأشعرية والماتريدية عليهم.

وممن لهم متابعة للفلاسفة الباطنية مثل السجستاني (ت ٣٣١هـ) في كتابه "الافتخار" و"الأقاليد الملوكوتية" و"إخوان الصفا".

أولاً. نقد أشهر تعريفات المنطق :

أ . المنطق هو: « الآلة العاصمة للذهن عن الخطأ»، وزاد بعضهم: «مميز لصواب الرأي عن الخطأ في العقائد».

ب . المنطق هو: «الميزان الذي توزن به العلوم». وقيل بدل الميزان: الآلة،

وفي هذه التعريفات أباطيل، ومفتريات، هذا جوابها:

١- أن أهل الكلام والفلسفة الذين أدخلوا المنطق على المسلمين لم يعصمهم المنطق عن الضلال، كما تقدمت أمثلة ذلك، «وكم من إمام ما رفع بالمنطق رأساً»، كما قال الإمام ابن الصلاح رحمه الله.

٢- الفلاسفة أصحاب هذا المنطق ليسوا أمة واحدة بل أصناف متفرقون وبينهم من الاختلاف مالا يحصيه إلا الله، وكل فيلسوف يضل من كان قبله، فلو كان المنطق عاصماً لعصمهم من الخلاف.

٣- لو كان المنطق ميزاناً للحق من الباطل لصح مذهب الفلاسفة، وبطلت مذاهب أهل الكلام، بل لصح مذهب فلاسفة اليونان وبطل ما سواه، لأن أهل الكلام أخذوه من الفلاسفة، وأولئك أخذوه من فلاسفة اليونان، فكيف يكفرونهم، ويزعمون أن ميزانهم حق وعدل!

قال ابن القيم في النونية على لسان الفلاسفة في ردهم على أهل الكلام المتفلسفة:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| « هذا وقد أقررتم أنا بأيدنا | صريح العدل والميزان |
| وغدوتم فيه تلاميذاً لنا | لاتجحدونا منة الإحسان |
| منا تعلمتم ونحن شيوخكم | وسلوا القواعد ربة الأركان |
| من أين جاءتكم وأين أصولها | وعلى يدي من يا أولي النكران |
| فلأشئ نحن كفار وأنتم | مؤمنون ونحن متفقان». |

٤. أنزل الله تعالى الموازين مع كتبه قبل أن يخلق اليونان من عهد نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، وهذا المنطق اليوناني وضعه أرسطو قبل المسيح بثلاثمائة سنة، فكيف كانت الأمم المتقدمة تنزن به، وكذلك أهل الاسلام ما زالوا ينزون بالموازين العقلية، مع أنه لم يظهر في الإسلام إلا في عهد دولة المأمون، أو قريباً منها، ولما عرب وعرفه نظار المسلمين ذموه وعابوه، ولم يلتفتوا إليه ولا إلى أهله في موازينهم العقلية والشرعية.

٥. المناطق جعلوه ميزان الموازين العقلية التي هي الأقيسة العقلية، ولو احتاج الميزان إلى ميزان لزم التسلسل.

٦. هذه الدعوى مبنية على أن الرسل عليهم السلام جاءت بالأخبار دون العلوم العقلية، والصواب أن العلوم النبوية ليست مقصورة على الخبر، بل الرسل صلوات الله عليهم بينت العلوم العقلية؛ التي بها يتم دين الله علماً وعملاً، وضربت للناس الأمثال العقلية التي يعرفون بها التماثل والاختلاف، وأرشدت الناس إلى ما به يعرفون العدل؛ ويعرفون الأقيسة العقلية الصحيحة التي يستدل بها على المطالب الدينية، فكمملت الفطرة بما نبهتها

[illegible]

٧- لا يجوز قط أن يختلف الكتاب والميزان، ومنطق اليونان الذي هو ميزانهم مخالف للكتاب والسنة والعقل والفطرة.

٨. أهل الدنيا الموصوفة بأنها لعب ولهو ومتاع اتقنوا موازين معرفة الحق من الباطل فيما بينهم، بل وتميز يسير الحيف من ذلك، ولو استطاع أهل المنطق والفلسفة وضع موازين تميز الحق من الباطل، على وجه يقطع الخلاف ويشفي الصدور لفرحوا بذلك، لكن منطقهم لا يوصل إلى تلك الموازين، ولا يمكن معرفة موازين ذلك إلا بالاعتماد على الوحي.

ثانياً: الميزان الحق عند المسلمين :

تقدم بطلان زعم المناطقة أن منطقهم ميزان يفرق بين الحق والباطل، وخصوصاً في العقائد، وهذا الزعم يحرم على المسلم تصديقه، لأن الله تعالى سمي القرآن الكريم فرقاناً بين الحق والباطل، فقال تعالى: ﴿

وأخبر سبحانه أنه أنزل الكتاب والميزان، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ الْكِتَابَ بِالْمِيزَانِ﴾ [الشورى الآية: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ الْكِتَابَ فِي الصُّبْحِ بِرُبِّ الْمُرْقَدِينَ﴾ [الأنعام الآية: ٩٥]، فالكتاب هو هذا القرآن العظيم، نزل بالحق، واشتمل على الحق والصدق واليقين.

أما الميزان فهو العدل والاعتبار والقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية من الآيات الآفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية، والمناسبات والعلل، والأحكام والحكم داخلية في الميزان الذي أنزله الله تعالى، ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما اشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت به رسله، وما خرج هذين الأمرين . عن الكتاب والسنة . مما قيل إنه حجة أو برهان أو دليل ، فهو باطل متناقض .

وفي هذه الآيات رد على من زعم أن الرسل عليهم السلام جاؤا بالأخبار دون العلوم العقلية، وأن العلوم العقلية تؤخذ من الفلاسفة وأشباههم، والصحيح أن الرسل صلوات الله عليهم بينت العلوم العقلية؛ التي بها يتم دين الله علماً وعملاً، وضريت للناس الأمثال العقلية التي يعرفون بها التماثل والاختلاف، وأرشدت الناس إلى ما به يعرفون العدل؛ ويعرفون الأقسية العقلية الصحيحة التي يستدل بها على المطالب الدينية.

وبهذا يتضح أن ميزان المسلم الذي يفرق به بين الحق والباطل هو الكتاب العزيز، والميزان وهو: الأقيسة العقلية والأمثال المضروبة، وليس هو القياس المنطقي.

ومما يدخل في الأقيسة العقلية والأمثال المضروبة . الميزان . نوع من القياس ، لأن القياس لفظ مجمل ، وينقسم إلى حق وباطل ، وممدوح ومذموم ، ولهذا لم يجرى في القرآن مدحه ولا ذمه ، ولا الأمر به ولا النهي عنه ، وفي كلام السلف ذم القياس وأنه ليس من الدين ، مع أنه يوجد في كلامهم ويستعملونه ويستدلون به .

والنوع الأول من القياس فهو القياس الصحيح ، وهو الذي وردت به الشريعة ، وهو الجمع بين المتماثلين ، والتفريق بين المتخالفين ، فالأول قياس الطرد ، والثاني قياس العكس ، وهو من العدل الذي بعث الله به نبيه ﷺ ، وهذا لا تأتي الشريعة بخلافه ، ولا يأتي بخلافها ، وقد فطر الله الناس على الأخذ بهذا الميزان ، ويرى ابن القيم أنه من الأولى تسميته بالاسم الذي سماه الله به وهو "الميزان" فإنه يدل على العدل ، وهذا القياس هو الذي استخدمه الصحابة رضي الله عنهم ومن تابعهم ، فقاموا بالأحكام بعضها على بعض ، واعتبروا النظم بنظيره .

أما القياس الفاسد فهو القياس المذموم، ومنه القياس المنطقي، الذي يفرق بين التماثلين، ويجمع المتفرقات، كقياس الذين قاسوا البيع على الربا، بجامع ما يشتركان فيه من التراضي بالمعاوضة المالية، وهذا القياس حكاه الله عن المبطلين، ومن ذلك قوله تعالى إخباراً عن الكفار أنهم قالوا لرسولهم عليهم السلام ﷺ فاعتبروا مجرد الصورة الآدمية، وشبه المجانسة فيها، واستدلوا بذلك على أن حكم أحد الشبهين حكم الآخر، فكما لا نكون نحن رسلاً فكذلك أنتم، فأنتم مثلنا لا مزية لكم علينا، وهذا من أبطل القياس، فإن الواقع أنه سبحانه جعل هذا النوع . الإنسان . بعضه شريفاً وبعضه دنياً، وبعضه ملوكاً وبعضه سوقة، كما قال تعالى: ﷻ

[illegible]

المطلب الثاني . منهج البحث العلمي في المنطق اليوناني :

المنهج: في اللغة هو الطريق الواضح.

واصطلاحاً هو: القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم.

وللمنهج دور كبير وخطير في التقدم العلمي، فالتقدم رهين بالمنهج يدور معه وجوداً وعدماً، ولذا تنبه علماء المسلمين إلى خطر منهج المنطق اليوناني، ووصفوه بالعقم، وكان أهم الأسباب في معارضتهم للمنطق وتحريمه.

أولاً. قواعد البحث العلمي في المنطق اليوناني :

تتضح قواعد منهج المنطق اليوناني في المواضيع التالية :

١. يهتم المناطقة بالعلم النظري فقط، ويعظمونه ويرفعون من شأنه، ويهملون العلم العملي، ويعملون اهتمامهم بالعلم النظري أنه لا غرض له ولا يبنى عليه عمل، كما سيأتي في المطلب التالي، وقد أثر هذا في حياة بعض المنتسبين للإسلام وعلومهم، وكان من أسباب انحطاط المسلمين، وكبت الأوربيين قروناً طويلة.

٢. يسمى بالمنطق الصوري لأنه يرفض الناحية المادية والموضوعية، ولا يعتد إلا بالناحية الصورية، ويتجاهل البحث في الجزئيات والأعيان المشخصة، ويطلق أحكاماً كلية لا علاقة لها بالواقع، ولا يمكن تطبيقها أيضاً، وليس لها وجود في الخارج، بل وجودها ذهني، لذلك لا يمكن الاستفادة من هذه الأحكام أو هذه البحوث في الحياة اليومية للأمة، قال نيقولا ريشر في تطور المنطق العربي: «اصطبغت الدراسات المنطقية بالصبغة الصورية الخالصة،... وهو البعد عن كل مضمون، والاستقلال عن كل مادة».

قال ابن القيم في النونية عن الفلاسفة أهل المنطق :

« هذا هداك الله من إضلالهم وضلالهم في المنطق اليوناني

كمجردات في الخيال وقد بنى قوم عليها أو هن البنيان

ظنوا بأن لها وجوداً خارجاً ووجودها لو صح في الأذهان».

وقال أيضاً : « لا الذهن يعقله ولا هو خارج هو الخيال لطيفة السكران».

٣. كلام المناطقة في الكليات، وهي: الشاملة لجميع الأفراد الداخلين في صنف معين، ويتبدى بمقدمات عامة، وهذه تكون في الأذهان، لا في الأعيان، فهي علوم بأمور مقدرة في الأذهان، لا يعلم تحققها في الأعيان، وغالب كلامهم فيها ظنون كاذبة، فضلاً عن أن تكون قضايا صادقة.

٤. زعمهم أن الحس والتجربة والمتواتر مما يختص به من حصل له ذلك، ولا يصلح أن يحتج به على غيره، وقد كانت الثورة الأوربية الحديثة على هذا المنهج العقيم وأبدلته بالتجربة، وقد رد أهل السنة هذا المنهج قبل أوربا بقرون كثيرة، فأبطل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) التفريق بين من حصل له وغيره، إما أن تقبل من الجميع أو ترفض، مع أن قولهم في المتواتر من أصول الإلحاد والكفر، ويقال لمن احتج بقولهم: اسمع كما سمع غيرك وحينئذ يحصل لك العلم، وبين تناقضهم بأن ما يذكرونه في الفلك والطب هو عن طريق التجربة والحس.

٥. تهدف الحدود المنطقية إلى: «تحديد ماهية الشيء»، وهذا هدف غير ممكن وغير واقعي.

ولذا عارض نظار المتكلمين الأوائل المنطق وردوه لمعرفتهم أن للمسلمين منهجاً خاصاً بهم، يخالف منهج المنطق الأرسطي، ألا وهو المنهج العملي، كما ذهب بعض من الباحثين المعاصرين إلى أن سيادة منهج المنطق الأرسطي نكبة ثقافية كبرى أصيبت بها الأمة الإسلامية، وأن هذا المنهج هو فن قول الشيء وضده، وأنه يؤدي إلى بحر من الثقافة اللفظية الفارغة، وتصبح الجهود الفكرية منصبة على شرح الألفاظ، ثم شرح هذه الشروح، وهكذا، وقال د. رفقي زاهر: «المحصلة النهائية لحساب الخسائر والأرباح تشير إلى أن الثقافة الإسلامية قد كسبت من ترجمة المنطق الصوري، ولكنها خسرت كثيراً بإيغالها في الصورية، وبعدها عن المباشرة والموضوعية، على نحو ما صنعه الأرييون في نهضتهم الحديثة، بل وعلى ما كان يسود الحياة الثقافية في صدر الإسلام».

ويرى هؤلاء الباحثون أنه بسبب هذا المنهج خسر المسلمون كثيراً، لكن القليل منهم عرف المنهج الإسلامي الصحيح الذي فيه الغنية عن المنهج المنطقي.

لقد كان المنهج المنطقي من أسباب تأخر المسلمين، وأخذ الأوربيون منهم المنهج العملي، وتقدموا في العلوم المادية تقدماً هائلاً، بينما كان المسلمون على استعداد لهذا لو أنهم تبعوا منهج أهل السنة والجماعة، منهج الإسلام الصحيح، وكانوا أحق بأعمار الأرض واستخراج العلم النافع، ويكون هذا سبباً في نشر الإسلام. وقد جاء نقد هذا المنهج عن الأوربيين بعد أن أخذوه من المسلمين، فيرى فرنسيس بيكون (ت ١٠٠٣هـ) أن المنطق الأرسطي ليس طريقاً لكشف الحقائق، وهو يجعلنا خاضعين للنتائج دون أن يعطينا اكتشافاً جديداً، وقال: «يجب البحث في الجزئيات، ولا بد من ترتيب المعلومات الجزئية وتسلسلها ثم تستخرج الكليات منها»، فهذه الأقوال معروفة عن أهل السنة.

ثانياً. من ثمار المنهج المنطقي :

١. سد المنهج المنطقي على كثير من الناس طريق العلم، وأوقعهم في أودية الضلال والجهل، ولا تجد أحداً من أهل الأرض حقق علماً من العلوم وصار إماماً فيه مستعيناً بصناعة المنطق، لا من العلوم الدينية ولا غيرها، فالأطباء والحساب والكتاب ونحوهم يحققون ما يحققون من علومهم وصناعاتهم بغير صناعة المنطق.

وعلى سبيل المثال: إمام صناعة الطب بقراط له فيها من الكلام الذي تلقاه أهل الطب بالقبول ووجدوا مصداقه بالتجارب، ومع هذا فليس هو مستعينا بشيء من هذه الصناعة بل كان قبل واضعها، أما علم ما بعد الطبيعة الذي يعظمونه ويقولون هو الفلسفة الأولى، وهو العلم الكلى الناظر فى الوجود ولواحقه، ويسميه متأخروهم العلم الإلهي، وزعم المعلم الأول لهم أنه غاية فلسفتهم، ونهاية حكمتهم، فالحق فيه من المسائل قليل نزر، وغالبه علم بأحكام ذهنية، لاحقائق خارجية، وليس على أكثره قياس منطقي، ومع ذلك زاحم المنهج المنطقي الفطرة والنبوة، مزاحمة أوجبت من مخالفتهم للفطرة والنبوة؛ ما صاروا به من شياطين الإنس والجن، الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً^(١).

٢. من أمثلة القواعد الكلية للمنطق زعم الفلاسفة ومن وافقهم وبعض الأشعرية أن جواهر الأشياء واحدة متساوية، لا اختلاف بينها^(٢)، فمثلاً: جوهر الماء مثل جوهر النار، وجوهر المسك مثل جوهر البول، والاختلاف بينها بسبب الأعراض^(٣).

٣. زعم المناطق أن قوانين الفكر مطلقة ودائمة ولا تختلف باختلاف العلوم، ولا تتغير من حين لآخر، وهذا باطل فلكل علم منهجه الخاص به، وله قواعده، التي تتغير بناء على التحقيق العلمي^(٤).

٤. تعظيم الحدود المنطقية، قال شيخ الإسلام عن المناطقة: «وصاروا يعظمون أمر الحدود، ويدعون أنهم هم المحققون لذلك، وأن ما يذكره غيرهم من الحدود إنما هي لفظية، لا تفيد تعريف الماهية والحقيقة، بخلاف حدودهم، ويسلكون الطرق الصعبة الطويلة، والعبارات المتكلفة الهائلة، وليس لذلك فائدة إلا تضيق الزمان، واتعاب الأذهان، وكثرة الهذيان، ودعوى التحقيق بالكذب والبهتان، وشغل النفوس بما لا ينفعها، بل قد يضلها عما لا بد لها منه، وإثبات الجهل الذي هو أصل النفاق في القلوب، وإن ادعوا أنه أصل المعرفة والتحقيق»^(٥).

٥. الجهل الحقيقي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا حدثونا بإسناد متصل عن فاضل زمانه في المنطق، وهو الخوننجي صاحب "كشف أسرار المنطق" و"الموجز" وغيرهما، أنه قال عند الموت: أموت وما عرفت شيئاً، إلا علمي بأن الممكن يفتقر إلى المؤثر، ثم قال: الافتقار وصف سلبي، فأنا أموت وما عرفت شيئاً... فهذا أمر يعرفه كل من خبرهم، ويعرف أنهم أجهل أهل الأرض؛ بالطرق التي ينال بها العلوم العقلية والسمعية، إلا من علم منهم علماً من غير الطريق المنطقية، فتكون علومه من تلك الجهة، لا من جهتهم... ومن عرف منهم بشيء من العلوم لم يكن ذلك بواسطة ما حرروه في المنطق»^(٦).

(١) انظر: نقض المنطق ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢١/٩ - ٢٣، والمنطق ومناهج البحث ص ٩، ١٥.

(٢) انظر: المقالات ج ٩/٢، أصول الدين للبغدادي ص ٥٤، وزعم إجماع الأشاعرة على ذلك.

(٣) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم ج ١/٥٠٣، وفخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ص ٤٠٧ - ٤١٠، وغربة الإسلام ص ٨٠، والموسوعة العربية العالمية ج ١٦/٥٦٤.

(٤) انظر: علم المنطق د. أحمد رمضان ص ٦٤، والمنطق ومناهج البحث ص ٢٠.

(٥) الرد على المنطقيين ص ٢٨.

(٦) الرد على المنطقيين ص ٩٧.

فهذه هي غاية ومحصلة المنهج المنطقي .

المطلب الثالث . العلم النظري عند المناطق :

يهتم المناطق بالعلم النظري فقط، ويعظمونه ويرفعون من شأنه، ويهملون العلم العملي، يتضح هذا من تقسيمات العلم عندهم، ويعللون اهتمامهم بالعلم النظري أنه لا غرض له ولا يبنى عليه عمل .

فهذا أرسطو إمامهم يقسم العلم إلى قسمين : ١. عملي . ٢- نظري .

ويقسم العلم النظري إلى : ١- طبيعي . ٢- رياضي . ٣- ما بعد الطبيعي (الغيب).

وغاية العلم النظري هو مجرد المعرفة فقط، والعملية غايته أفعال الإنسان، فالعلم النظري عنده أشرف من العملي، لأن كمال العقل أسمى قوى الإنسان، والعلم في زعمه للعلم لا للغرض آخر، وأشرف العلم النظري ما بعد الطبيعي، لسمو موضوعه وبعده من التغيير، فهو يعلى من شأن العلم النظري، ويحط من شأن العملي، وكلما كان العلم غاية في التجريد كان أعلى منزلة عنده^(٧)، وتابعه على ذلك شراح المنطق من اليونانيين مثل الإسكندر الأفروديسي وغيره^(٨)، وتابعه الكندي الذي زعم أن أفضل العلوم ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا) لأنه مجرد عن المادة، ولم يهتم بالعلم العملي^(٩)، والفارابي أيضاً جعل الفلاسفة هم الخواص فقال: «فالخواص على الإطلاق إذن هم الفلاسفة، الذين هم فلاسفة بإطلاق، وسائر من يعد من الخواص إنما يعد منهم، لأن فيه شبهاً من الفلاسفة»^(١٠)، ويزعم أن أصحاب الصنائع العملية أدنى مستوى من الفلاسفة، أما ابن سينا فتابع أرسطو، فهو يقسم العلوم ويجعل أعلاها ما يتعلق بما بعد الطبيعة ويسميه "العلم الإلهي"، لأنه مجرد عن المادة، والسفلى ما يتعلق بالمادة، أما المنطق عنده فهو صناعة نظرية، لاعلاقة له بالعمل^(١١).

ولما كان المنطق هو المدخل للفلسفة التي تهتم بالبحث في الأمور الغيبية، فغاية المنطق البحث في ذلك، وقد نص جماعة من المناطق إلى أن العلوم الإلهية خاضعة للمنطق^(١٢)، بل ويزعمون أن علم ما بعد الطبيعة هو أعظم علومهم، ويقولون هو الفلسفة الأولى، وهو العلم الكلي الناظر في الوجود ولواحقه، ويسميه متأخروهم العلم الإلهي، وزعم المعلم الأول لهم أنه غاية فلسفتهم، ونهاية حكمتهم، فالحق فيه من المسائل قليل نزر، وغالبه علم بأحكام ذهنية، لاحقائق خارجية^(١٣)، فالفكر الفلسفي . والمنطق منه . يتأمل العالم ويكتفى بالرغبة في تفسيره، ولكن يربأ بنفسه عن العمل والتجربة^(١٤).

(٧) انظر : تأريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم ص ١١٨ .

(٨) انظر : مشكلات فلسفية ص ١٠٤ .

(٩) انظر : الجواهر الخمس الكندي ج ٢/ ٨٠، ١٢، ضمن رسائل الكندي الفلسفية، ومشكلات فلسفية ص ١١٠-١١١ .

(١٠) الحروف للفارابي ت/ محسن مهدي ص ١٣٣ .

(١١) انظر : النجاة لابن سينا ص ١٠ .

(١٢) انظر : البصائر النصيرية ص ٢٧، وفصل المقال لابن رشد ص ٣٥، ٣٧ .

(١٣) انظر : نقض المنطق ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٩/ ٢١-٢٢ .

(١٤) انظر : المسألة الفلسفية ص ٣٧ .

لذا كان من أهم خصائص المنطق الحديث . المنهج التجريبي . مخالفة المنطق الأرسطي في العلم النظري، والاهتمام بالتجربة، ودراسة الظواهر المحسوسة^(١٥).

ولعل هذا يفسر ما يذكره بعض المناطق من ذكرهم لأكثر من عقيدة، أو زعمهم أن للإنسان الكامل أكثر من عقيدة، كما ذكر ذلك الغزالي^(١٦)، والسهورودي المقتول على الزندقة^(١٧)، لأنهم حسب هذا التقسيم يذكرون هذه العقائد لغرض العلم ذاته فقط، وأن علم المعتقد لا يعمل به، والله أعلم .

المطلب الرابع . منهج البحث العلمي الإسلامي :

أولاً : غاية العلم وثمرته :

غاية العلم في الإسلام غاية عظيمة، هدفها سعادة الدنيا والآخرة، ولذا جاء الحث في كتاب الله تعالى وفي السنة النبوية الشريفة على الجمع بين العلم والعمل، وكان المنهج الإسلامي الصحيح الذي هو منهج أهل السنة والجماعة من أسباب تقدم المسلمين ونهضتهم وعزهم؛ لأنه منهج يقدم العمل على القول، والتطبيق على النظري، قال تعالى : ﴿ ۝٣ ۝٤ ۝٥ ۝٦ ۝٧ ۝٨ ۝٩ ۝١٠ ۝١١ ۝١٢ ۝١٣ ۝١٤ ۝١٥ ۝١٦ ۝١٧ ۝١٨ ۝١٩ ۝٢٠ ۝٢١ ۝٢٢ ۝٢٣ ۝٢٤ ۝٢٥ ۝٢٦ ۝٢٧ ۝٢٨ ۝٢٩ ۝٣٠ ۝٣١ ۝٣٢ ۝٣٣ ۝٣٤ ۝٣٥ ۝٣٦ ۝٣٧ ۝٣٨ ۝٣٩ ۝٤٠ ۝٤١ ۝٤٢ ۝٤٣ ۝٤٤ ۝٤٥ ۝٤٦ ۝٤٧ ۝٤٨ ۝٤٩ ۝٥٠ ۝٥١ ۝٥٢ ۝٥٣ ۝٥٤ ۝٥٥ ۝٥٦ ۝٥٧ ۝٥٨ ۝٥٩ ۝٦٠ ۝٦١ ۝٦٢ ۝٦٣ ۝٦٤ ۝٦٥ ۝٦٦ ۝٦٧ ۝٦٨ ۝٦٩ ۝٧٠ ۝٧١ ۝٧٢ ۝٧٣ ۝٧٤ ۝٧٥ ۝٧٦ ۝٧٧ ۝٧٨ ۝٧٩ ۝٨٠ ۝٨١ ۝٨٢ ۝٨٣ ۝٨٤ ۝٨٥ ۝٨٦ ۝٨٧ ۝٨٨ ۝٨٩ ۝٩٠ ۝٩١ ۝٩٢ ۝٩٣ ۝٩٤ ۝٩٥ ۝٩٦ ۝٩٧ ۝٩٨ ۝٩٩ ۝١٠٠ ﴾ [الصف الآية : ٢، ٣] ، فأنكر سبحانه على من يقول ما لا يفعل، واشتد غضبه على من يفعل ذلك^(١٨)، ومن هذا الصنف المناطق .

كما ذم سبحانه من لم يعمل بعلمه ولم ينتفع به، قال تعالى : ﴿ ۝١٠١ ۝١٠٢ ۝١٠٣ ۝١٠٤ ۝١٠٥ ۝١٠٦ ۝١٠٧ ۝١٠٨ ۝١٠٩ ۝١١٠ ۝١١١ ۝١١٢ ۝١١٣ ۝١١٤ ۝١١٥ ۝١١٦ ۝١١٧ ۝١١٨ ۝١١٩ ۝١٢٠ ۝١٢١ ۝١٢٢ ۝١٢٣ ۝١٢٤ ۝١٢٥ ۝١٢٦ ۝١٢٧ ۝١٢٨ ۝١٢٩ ۝١٣٠ ۝١٣١ ۝١٣٢ ۝١٣٣ ۝١٣٤ ۝١٣٥ ۝١٣٦ ۝١٣٧ ۝١٣٨ ۝١٣٩ ۝١٤٠ ۝١٤١ ۝١٤٢ ۝١٤٣ ۝١٤٤ ۝١٤٥ ۝١٤٦ ۝١٤٧ ۝١٤٨ ۝١٤٩ ۝١٥٠ ۝١٥١ ۝١٥٢ ۝١٥٣ ۝١٥٤ ۝١٥٥ ۝١٥٦ ۝١٥٧ ۝١٥٨ ۝١٥٩ ۝١٦٠ ۝١٦١ ۝١٦٢ ۝١٦٣ ۝١٦٤ ۝١٦٥ ۝١٦٦ ۝١٦٧ ۝١٦٨ ۝١٦٩ ۝١٧٠ ۝١٧١ ۝١٧٢ ۝١٧٣ ۝١٧٤ ۝١٧٥ ۝١٧٦ ۝١٧٧ ۝١٧٨ ۝١٧٩ ۝١٨٠ ۝١٨١ ۝١٨٢ ۝١٨٣ ۝١٨٤ ۝١٨٥ ۝١٨٦ ۝١٨٧ ۝١٨٨ ۝١٨٩ ۝١٩٠ ۝١٩١ ۝١٩٢ ۝١٩٣ ۝١٩٤ ۝١٩٥ ۝١٩٦ ۝١٩٧ ۝١٩٨ ۝١٩٩ ۝٢٠٠ ﴾ [الجمعة الآية : ٥] ، وقال : ﴿ ۝٢٠١ ۝٢٠٢ ۝٢٠٣ ۝٢٠٤ ۝٢٠٥ ۝٢٠٦ ۝٢٠٧ ۝٢٠٨ ۝٢٠٩ ۝٢١٠ ۝٢١١ ۝٢١٢ ۝٢١٣ ۝٢١٤ ۝٢١٥ ۝٢١٦ ۝٢١٧ ۝٢١٨ ۝٢١٩ ۝٢٢٠ ۝٢٢١ ۝٢٢٢ ۝٢٢٣ ۝٢٢٤ ۝٢٢٥ ۝٢٢٦ ۝٢٢٧ ۝٢٢٨ ۝٢٢٩ ۝٢٣٠ ۝٢٣١ ۝٢٣٢ ۝٢٣٣ ۝٢٣٤ ۝٢٣٥ ۝٢٣٦ ۝٢٣٧ ۝٢٣٨ ۝٢٣٩ ۝٢٤٠ ۝٢٤١ ۝٢٤٢ ۝٢٤٣ ۝٢٤٤ ۝٢٤٥ ۝٢٤٦ ۝٢٤٧ ۝٢٤٨ ۝٢٤٩ ۝٢٥٠ ۝٢٥١ ۝٢٥٢ ۝٢٥٣ ۝٢٥٤ ۝٢٥٥ ۝٢٥٦ ۝٢٥٧ ۝٢٥٨ ۝٢٥٩ ۝٢٦٠ ۝٢٦١ ۝٢٦٢ ۝٢٦٣ ۝٢٦٤ ۝٢٦٥ ۝٢٦٦ ۝٢٦٧ ۝٢٦٨ ۝٢٦٩ ۝٢٧٠ ۝٢٧١ ۝٢٧٢ ۝٢٧٣ ۝٢٧٤ ۝٢٧٥ ۝٢٧٦ ۝٢٧٧ ۝٢٧٨ ۝٢٧٩ ۝٢٨٠ ۝٢٨١ ۝٢٨٢ ۝٢٨٣ ۝٢٨٤ ۝٢٨٥ ۝٢٨٦ ۝٢٨٧ ۝٢٨٨ ۝٢٨٩ ۝٢٩٠ ۝٢٩١ ۝٢٩٢ ۝٢٩٣ ۝٢٩٤ ۝٢٩٥ ۝٢٩٦ ۝٢٩٧ ۝٢٩٨ ۝٢٩٩ ۝٣٠٠ ﴾ [الأعراف الآية : ١٧٥] .

ويتضح هذا المنهج في قوله تعالى : ﴿ ۝١٨٩ ۝١٩٠ ۝١٩١ ۝١٩٢ ۝١٩٣ ۝١٩٤ ۝١٩٥ ۝١٩٦ ۝١٩٧ ۝١٩٨ ۝١٩٩ ۝٢٠٠ ﴾ [البقرة الآية : ١٨٩] ؛ فوقع الجواب بما يتعلق به عمل .

(١٥) انظر : المنطق ومناهج البحث ص ١٩، وتاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم ص ٤٨ .

(١٦) انظر : ميزان العمل للغزالي ص ١٣٤-١٣٥، والإملاء في إشكالات الإحياء ج ٢/٥ ، ملحق بالإحياء .

(١٧) انظر : المشارع والمطارحات ضمن مجموعة مصنفات السهروردي ج ١/٥٠٥ .

(١٨) انظر : أضواء البيان للشنقيطي ج ٨/١١٢ .

وكان من دعاء النبي ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها »^(١٩)، وفي لفظ: « كان رسول الله ﷺ يقول اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً »^(٢٠).

والعلم الذي لا ينفع هو ما لا يصحبه عمل^(٢١)، وقد بوب الإمام ابن ماجه . رحمه الله . على هذا الحديث فقال: باب الانتفاع بالعلم والعمل به^(٢٢).

وسأل رجل النبي ﷺ عن الساعة، فقال للسائل: « ما أعددت لها ؟ »^(٢٣)، فكان الجواب فيه الحث على العمل.

وقد فقه هذا المنهج أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم، قال مسروق - رحمه الله - : « سألت أبي بن كعب عن شيء، فقال : أكان بعد؟ قلت : لا ، قال : فأجمنا حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا »^(٢٤).

وعن موسى بن عُلَيّ عن أبيه قال: « كان زيد ثابت إذا سأله رجل عن شيء، قال: آلهة لكان هذه؟ فإن قال: نعم، تكلم فيه، وإلا لم يتكلم »^(٢٥).

ونقل عنهم هذا المنهج الأئمة الأعلام، قال الربيع سمعت الإمام الشافعي - رحمه الله - : « مراراً كثيرة يقول ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع »^(٢٦)، ونقل هذا اللفظ عن جماعة من الصحابة والتابعين .

وقال محمد بن يوسف بن معدان المعروف بالبناء: « من أفضل الأشياء العلم، والمبتغى من العلم نفعه، فإذا لم استعاذ منه، فقال: " أعوذ بك من علم لا ينفع »^(٢٧). ﷺ ينفعك فحمل ثمرة خير لك من حمل ذلك، لأن رسول الله ﷺ وقد حث علماء المسلمين على الاهتمام بالعمل وترك الجدل، وبوبوا في كتبهم في ذم الجدل والمراء وهذا المنهج هو الذي يطلقون عليه المنهج التجريبي، هو ما يذكر في المنطق الحديث، وكثير من المؤلفين ينسبه للأروبيين، فينسبونه لروجر بيكون (ت ١٢٧٢هـ)، وسميه فرنسيس بيكون (ت ١٠٠٣هـ)، صاحب كتاب "الأرجانون الجديد"، والذي اقترح فيه هذا المنهج بدلاً من المنطق الأرسطي^(٢٨).

ولا تصح هذه النسبة، فالمنهج العملي منهج إسلامي أصيل، يتضح من النصوص السابقة، ومن أقوال علماء المسلمين^(٢٩)، لكن ينبغي أن يعلم أن المنهج التجريبي عند بعض الأروبيين وبعض المنتسبين للإسلام ارتبط بالإنحلال، لأن أوروبا كانت تحت سيطرة الكنيسة التي تتبنى المنطق اليوناني، فكفروا بالكنيسة وما تتبناه^(٣٠).

(١٩) أخرجه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل) رقم الحديث ٢٧٢٢، ص ١٠٩٠-١٠٩١ .

(٢٠) أخرجه ابن ماجه في (المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به) رقم الحديث ٢٥١، ص ٤٢، صححه الألباني.

(٢١) انظر: فيض القدير ج ٢/١٠٢ .

(٢٢) انظر: سنن ابن ماجه ص ٤٢، رقم الحديث ٢٥٠.

(٢٣) أخرجه البخاري في (كتاب فضائل الصحابة، مناقب عمر بن الخطاب ﷺ) رقم الحديث ٣٦٨٨، ص ٧٠٤.

(٢٤) كتاب العلم لزهير بن حرب النسائي ت/ الألباني ص ٢٠، وصححه إسناده الألباني.

(٢٥) كتاب العلم لزهير بن حرب النسائي ص ٢٠، وصححه إسناده الألباني.

(٢٦) حلية الأولياء ج ٩/١٢٣، وسير أعلام النبلاء ج ١٠/٨٩ .

(٢٧) حلية الأولياء ج ١٠/٤٠٢ .

(٢٨) مثل الأجرى في الشريعة ت/ الوليد سيف النصر ج ١/١٨٥، وابن بطة في الإبانة الكتاب الأول الإيمان ج ٢/٤٨٣ وغيرهما.

(٢٩) انظر: الموسوعة العربية العالمية ج ٤/٢٥٠، والمنطق ومناهج البحث ص ٩-١١، وتأريخ الفلسفة الحديثة ص ٤٥ .

ومنه ما لا يدركه العقل إلا عن طريق الوحي، مثل تفاصيل اليوم الآخر، وتفاصيل الأخبار السابقة والمستقبلية، وكل ما أستاذ الله بعلمه من المغيبات، وكل ما طوى عنا خبره، فهذا لا يعرف إلا عن طريق الرسل عليم السلام.

وهؤلاء الفلاسفة المناطقة لهم عقول، لكن لما خالفت الوحي لم تنفعهم شيئاً، قال تعالى :
 ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ بَرَأَ لَهُمْ أَكْوَافًا يُدْعَوْنَ مِنْهَا قَدُوسٌ وَمُقَدَّسٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [٢٦] [الأحقاف الآية: ٢٦].

ثالثاً: حكم الجدل المنطقي :

كان المنطق يسمى الجدل في زمن أرسطو وبعده بقرون، أما الآن فالجدل أحد أبواب المنطق الهامة، ويجعلون له قواعد، ويرتبون طرقه، ويقسمونه إلى الجدل في التعريفات والتقسيمات والتصديقات وغيرها، والغريب أنهم يقدمون بمقدمة فيها بيان حكم الجدل، ويفعلون عما جاء في الكتاب والسنة وعن سلف الأمة في ذمه، ولا يذكرون إلا الجدل المنطقي^(٣٥)، ومعلوم أن الجدل منه مذموم ومحمود^(٣٦).

وعامة الحدود المنطقية تفتح باب المراء والجدال، إذ كل منهم يورد على حد الآخر من الأسئلة ما يفسده به حد الآخر، ويزعم سلامة حده منه، وعند التحقيق تجدهم متكافئين، أو متقاربين ليس لأحدهم على الآخر رجحان مبين، فأما أن يقبل الجميع؛ أو يرد الجميع، أو يقبل من وجه، ويرد من وجه آخر.

ولذلك تتجلى معارف المناطقة بالقدرة على الاعتراض والجدل، وهذا ليس بعلم ولا فيه منفعة، وأحسن أحوال صاحبه أن يكون بمنزلة العامي، وإنما العلم في جواب السؤال، ولهذا تجد غالب حججهم تكافاً، إذ كل منهم يقدح في أدلة الآخر^(٣٧).

والجدل المنطقي من الجدل المذموم المنهي عنه^(٣٨)، وقد ذمّه النبي ﷺ فقال: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»^(٣٩)، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْاَوَّلِينَ وَلَا الْاٰخِرِينَ ۚ وَالْاَوَّلُ وَالْاٰخِرُ لَسْتَ عَلَيْهِمَا بِبَالِغٍ خَبِيرٍ﴾ [الزخرف: ٢٠]، والجدل المنطقي من الجدل المذموم المنهي عنه^(٤٠)، وقد ذمّه النبي ﷺ فقال: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»^(٤١)، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْاَوَّلِينَ وَلَا الْاٰخِرِينَ ۚ وَالْاَوَّلُ وَالْاٰخِرُ لَسْتَ عَلَيْهِمَا بِبَالِغٍ خَبِيرٍ﴾ [الزخرف: ٢٠].

(٣٤) انظر: الاعتصام للشاطبي ٥١٧/٢-٥٢١، و درء التعارض ٣١/١-٣٢، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة ١٧٦/١، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ١/٢٧-٢٨٠، وأقوال المناطقة في النجاة ص ٧٧-٨٢، والبصائر النصيرية ص ٢٢٠-٢٢٢، وطرق الاستدلال ومقدماتها ص ٤٠-٤١.

(٣٥) انظر: ضوابط المعرفة ص ٣٥٩-٤٥٥، وآداب البحث والمناظرة ج ٢/٤-١٤٥.

(٣٦) انظر: منهج الجدول والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ج ١/ ٣٠٤-٣١٤.

(۳۷) انظر: مجموع الفتاوى ج ۴/ ۲۷-۲۸.

(٣٨) انظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ج ١/ ٢٩٤-٣٠٣.

(٣٩) أخرجه الترمذي في (كتاب التفسير، باب ومن تفسیر سورة الزخرف) رقم الحديث ٣٢٥٣، ص ٥١٦، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه

في (المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل) رقم الحديث ٤٨، ص ٣٣، وحسنه الألباني فيهما .

وقال ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِمُ»^(٤٠)، وقال ﷺ: «من طلب العلم ليمارى به السفهاء، أو ليباهي به العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه، فهو في النار»^(٤١)، وقوله ﷺ: «قال لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»^(٤٢)، فكل ما حذر منه النبي ﷺ هو في علم المنطق.

وما روي عن السلف في ذم الجدل مثل ما ورد عن مسلم بن بشار قال: «إياكم والجدل والمراء، فأنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته»^(٤٣)، وعن أبي قلابة قال: «لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإنني لا أؤمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما ليس عليهم»^(٤٤). والجدال والمراء المذموم. ومنه المنطقي. يغلق باب الحوار ويلغيه، لأنه يدفع طرفي الحوار إلى التصور الخاطئ: بأن حوارهما هو مباراة لا تكون نتيجتها إلا قاتل أو مقتول، فلا يبحث كل منهما عن حقائق أو أدلة، وإنما يكون بحثه وجهده في محاولة إغراق الآخر في طوفان من الكلام الذي يُضيع الوقت والجهد في غير فائدة، ويوغر الصدور، ويكرس الفرق.

لذا يحذر المؤلفون في آداب طالب العلم من الجدل البيزنطي، وهو الجدل العقيم، الذي لا فائدة منه^(٤٥).

المطلب الخامس . دعوى المناطقة حول موضوع المنطق :

يذكر المؤلفون في المنطق عن موضوعه، عبارة مشهورة، وهي قولهم: موضوع المنطق هو المعلومات التصورية والتصديقية من حيث إنها موصلة إلى المجهول التصوري أو المجهول التصديقي، أو يتوقف عليهما^(٤٦)، لكن هذه المقولة بحاجة إلى تمحيص، وتطبيق على الواقع، حتى يمكن الحكم عليها، إنها دعوى كبيرة تحتاج إلى دليل .

إن كبار المناطقة كا بن سينا وابن رشد وابن سهلان وغيرهم ذكروا غير هذا، ونصوا على أن المنطق من أهم ما يختص به البحث في معرفة الاعتقاد الصحيح، وغير ذلك من الغيبيات، قال ابن سينا (ت ٤٢٨هـ): «فبدأت بإيراد الكفاية من صناعة المنطق لأنه الآلة العاصمة للذهن عن الخطأ، فيما نتصوره ونصدق به، والموصلة إلى الاعتقاد الحق، بإعطاء أسبابه ونهج سبله»^(٤٧)، وقال ابن رشد (ت ٥٩٥هـ). تحت عنوان وجوب النظر العقلي: المنطق: « وإذا كان الشرع قد حث على معرفة الله تعالى وسائر موجوداته بالبرهان، وكان من الأفضل أو الأمر الضروري لمن أراد أن يعلم الله تبارك وتعالى ... أن يتقدم أولاً فيعلم البراهين وشروطها، وبما

(٤٠) أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب: وهو ألد الخصام) رقم ٤٥٢٣ ص ٨٥٥، والألد: شديد الخصومة، ألد أفعل تفضيل من اللدد، وهو شدة

الخصومة. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ج ٢٣٨/٨.

(٤١) أخرجه ابن ماجه في (المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل) رقم الحديث ٢٥٣، ص ٤٢، وحسنه الألباني.

(٤٢) أخرجه ابن ماجه في (المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل) رقم الحديث ٢٥٤، ص ٤٢، وصححه الألباني.

(٤٣) الشريعة للأجري ج ١/١٨٧، وقال محققه الوليد محمد : إسناده صحيح.

(٤٤) الشريعة للأجري ج ١/١٨٧، وقال محققه الوليد محمد : إسناده صحيح، على شرط الشيخين.

(٤٥) انظر: حلية طالب العلم بكر أبو زيد ص ٨٣، والطريق إلى العلم عمرو سليم ص ٩١.

(٤٦) انظر: البصائر النصيرية ص ٢٦، وتسهيل المنطق ص ٤، وطرق الاستدلال ومقدماتها ص ١٠.

(٤٧) النجاة لابن سينا ص ٦.

يخالف القياس البرهاني»^(٤٨)، إلى أن قال: «فكم بالحري والأولى أن يستنبط من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس العقلي»^(٤٩)، وقال ابن سهلان (ت ٥٤٠ هـ). عن منفعة المنطق: «مميز لصواب الرأي عن الخطأ في العقائد، بحيث تتوافق العقول السليمة على صحته، وهذا هو المنطق، وإنما [احتيج] إلى تمييز الصواب عن الخطأ في العقائد للتوصل بها إلى السعادة»^(٥٠).

وكما تقدم أن المنطق اليوناني صوري يرفض الناحية المادية والموضوعية، ولا يعتد إلا بالناحية الصورية، ويتجاهل البحث في الجزئيات والأعيان المشخصة، ويختص بالأحكام والقضايا الكلية فقط.

ومن موضوعات المنطق الجدل، قال ابن سينا. في نهاية المنطق في النجاة: «لم نطول المنطق وإن كانت لا تخلو عن نفع، وهي مثل المواضع الجدلية وآلاتها واستعمالها، فإن أحببت أن تطلع على ذلك ذلك فاطلبه من كتابنا الذي يسمى الشفاء»^(٥١).

فهذا اعتراف كبار المناطق من خلال كتبهم، عن موضوعات المنطق المهمة، وهي البحث في العقائد والغيب والأمر الكلية والجدل، وقد تقدم بيان المنهج الإسلامي في هذه القضايا.

وكان الأولى ذكر أشياء تطبيقية واقعية على موضوعات المنطق، فلم يذكر المناطق معلومة واحدة توصل إليها عن طريق المنطق، بل الحدود المنطقية: «إلى الساعة لا يعلم للناس حد مستقيم على أصلهم، بل أظهر الأشياء الإنسان وحده بـ "الحيوان الناطق" عليه الاعتراضات المشهورة، ... وعامة الحدود المذكورة في كتب الفلاسفة والأطباء والنحاة والأصوليين والمتكلمة معترضة على أصلهم، وإن قيل بسلامة بعضها كان قليلاً، بل منتفياً، فلو كان تصور الأشياء موقوفاً على الحدود لم يكن إلى الساعة قد تصور الناس شيئاً من هذه الأمور، والتصديق موقوف على التصور، فإذا لم يحصل تصور لم يحصل تصديق، فلا يكون عند بني آدم علم في عامة علومهم وهذا من أعظم السفسطة»^(٥٢)، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «نحن نبين أن الحدود لا تفيد تصوير الحقائق، وأن حدود أهل المنطق التي يسمونها حقيقية تفسد العقل»^(٥٣).

والصواب أن المنطق يبحث في القواعد الكلية للعلوم، ويقعد للبحث في أمور الغيب، التي اختص الله بعلمها، وبلغها لنا الرسل. عليهم السلام، ثم جادلوا عن الباطل الذي قرره.

(٤٨) فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال لابن رشد ص ٣٥.

(٤٩) فصل المقال ص ٣٧.

(٥٠) البصائر النصيرية ص ٢٥، و ما بين معقوفين في الأصل " احتج " ولا يستقيم المعنى.

(٥١) النجاة ص ١١٧.

(٥٢) الرد على المنطقيين ص ٨.

(٥٣) الرد على المنطقيين ص ٢٩.